
أسماء الله الحسنى
18
المتين
الولي
الحميد
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى



بعْدَ أن هاجرَ الرسولُ ﷺ إلى الْمدينة ، كانَ علماءُ الْيهودِ يجادلونَهُ جدالاً عقيماً ، ويَخُوضونَ في الْحديثِ عَنِ اللَّهِ وأسْمائه الْحُسْنَى وصفاته بجهْلٍ وجُرْأةٍ وكَذبٍ وادِّعاءٍ .

فقدْ جاءُوهُ ذاتَ مرَّةٍ وسألوهُ عنْ خلْقِ السمواتِ والأرْضِ فقالوا :

- أخْبِرْنا عنْ خلْقِ السمواتِ والأرضِ ؟

فقالَ النبي ﷺ :

- خلقَ اللَّهُ الأرْضَ يوْمَ الأحدِ والإثْنيْنِ ، وخلقَ الْجبالَ يومَ الثُّلاثاءِ وما فيهنَّ منَ الْمنافعِ ، وخلقَ يومَ الأرْبعاءِ الشَّجرَ والْماءَ ، وخلقَ يومَ الْخميسِ السَّماءَ ، وخلقَ يوْمَ

الجُمُعَة النجومَ والشَّمسَ والْقمَر .

وعنْدئذٍ قالَ اليهودُ فى جدالٍ واضحٍ :

ـ ثمَّ ماذا يا مُحمَّدُ ؟

فقالَ النبى ﷺ :

ـ ثم اسْتوى على الْعرشِ .

فقالَ اليهودُ :

ـ قدْ أَصبْتَ لو قلتَ : ثم اسْتراحَ .

ولمْ يكَد الرسولُ ﷺ يسْمَعُ منهم ذلكَ حتى غَضبَ غضبًا شَديدًا ؛ لأَنَّ ما زعمهُ الْيهودُ فى حقِّ اللَّه شرْكٌ وكُفْرٌ باللَّه ، (فتعَالَى) اللَّهُ عمَّا يقُولُونَ عُلُوًّا كَبيرًا ، وعِنْدَئذٍ أَنْزلَ اللَّهُ (تعالَى) قولَه :

﴿ ولَقَدْ خَلقْنَا السَّموَاتِ والأَرْضَ ومَا بيْنهُمَا فى ستَّة أَيَّامٍ ومَا مسَّنا من لُغُوبٍ ﴾ . (ق : ٣٨)

واللُّغُوبُ : هو التَّعبُ والْعَناءُ .

فسُبْحانَ الْمتينِ شديدِ الْقُوى الذى تدُومُ قوَّتُهُ ولا تلْحقهُ فى أَفْعاله مشَقَّةٌ ولا يَمسُّهُ تعَبٌ مهْما كان حجمُ ما يقومُ به مِن أَعْمالٍ .

فإذا كانَ اسْمُهُ (تعالَى) القَوِىُّ يدُلُّ على القُدْرَةِ التَّامَّة ، فإنَّ اسْمَه (تعالَى) الْمَتِين يدلُّ على شدَّة الْقُوَّة بحَيْثُ لا يمكنُ أَنْ يستَولى عليه عجزٌ أو يُوهِنُهُ ضَعفٌ .

والْعَربُ يقولونَ : حَبْلٌ مَتينٌ : أى مُبْرَمٌ مُحكَمُ الْفَتْلِ بحيثُ يصيرُ قويًا شديد القوة .

يقولُ (تعالَى) :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ . (الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨)

وفى هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ قوةَ اللَّه لا تدانيها قوةٌ ، فلا يستطيعُ أَحدٌ أَنْ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لكلِّ الْخلائقِ ـ على كثْرتهمْ ـ إلا اللَّهُ القوىُّ الْمتينُ ، الذى لا تَنْفَدُ خزائنُهُ ، وفى ذلك إشارةٌ إلى ضعف الْمخلوقِ وحاجته إلى خالقه (عزَّ وجلَّ) .

ومما يدلُّ على شدَّة قوَّته ، أنه (سُبحانَهُ وتعالَى) يَبْسُطُ سُلْطانَه وهَيْمنتَهُ على الْوُجود كلِّه برَغْم اتِّساعه . قال (تعالَى) :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ . (البقرة : ٢٥٥)

وقد اسْتَخْلفَ اللَّهُ الإنسان ـ على الرغْمِ من ضَعْفه ـ فى الأَرْضِ ، وذكَّرهُ بضَعْفه وعَجزه حتى لا يَغْتَرَّ بقوته ، فقد خلقَ اللَّهُ ما هو أعظَمُ وأقْوى من الإنْسانِ : خلقَ السَّموات السَّبْعَ ، والأَرَضينَ السَّبْعَ ، والْجبالَ الرَّواسى ، والْمحيطات الشَّاسعَةَ ، وخلَقَ الْمَجرَّات والْكواكبَ والنُّجومَ ، وخلقَ ما لا تراهُ الْعَيْنُ ولا يعْرفهُ الْبَشرُ ..

فأَيْنَ قوةُ الإنسانِ منْ هذه الْمخلوقاتِ الْعظيمة ؟

قالَ (تعَالَى) :

﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ . (النازعات : ٢٧ ـ ٣٣)

فسُبحانَ منْ بَسطَ الأرضَ ورفعَ السَّماءَ بغيرِ عمَد ، وخلَقَ الْجبالَ الراسيات ، ورزقَ كلَّ خلْقه بشتى أنْواعِ الرزْق ، سُبْحانهُ لا شَبيهَ له ولا نَظيرَ له فى أسْمائه ولا فى صفاته ، وسُبْحانَ مَنْ سخَّرَ هذه الْمخلوقات القويَّةَ لخدْمة هذا

الكائنِ الضَعيف .

والمُؤْمنُ يسْتَمدُّ قوتَهُ ورفْعةَ شأْنه منَ اللَّه (تعالى) ، فهو قوىٌّ باللَّه ، لا يرهَبُ ذا سُلْطان ولا يخافُ صاحبَ نُفُوذٍ أوجاهٍ ، فصاحبُ السُّلْطانِ وصاحبُ الْجاه بحقٍّ هو اللَّهُ وحْدهُ الْقوىُّ الْمتينُ .

﴿ ومَنْ يتوكَّلْ علَى اللَّه فهُو حَسْبُهُ ﴾ . (الطلاق : ٣)

اللهمَّ لا سهلَ إلا ما جعلْته سهلاً ، وأنت تجعلُ الْحزَنَ إن شئْتَ سَهْلاً ، بسْم اللَّه على نفسى ومالى ودينى ، اللهمَّ رضِّنى بقضائكَ ، وباركْ لى فيما قُدِّرَ لى ، حتى لا أُحبَّ تعجيلَ ما أخَّرْتَ ، ولا تأْخيرَ ما عجَّلْتَ .



عن أبى هُرَيْرة رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللَّه ﷺ :

«إن اللَّه (عزَّ وجلَّ) قال : من عادى لى وَلِيًّا فقد آذنْتُه بالْحرب ، وما تقرَّبَ إلىَّ عَبْدى بشىء أحَبَّ إلىَّ مما افْترضْتُ عليه ، وما يزالُ عَبْدى يتقرَّبُ إلىَّ بالنَّوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سمْعَهُ الذى يسْمعُ به ، وبَصرهُ الذى يُبْصرُ به ، ويدَهُ التى يَبْطِشُ بها ، ورجْلَهُ التى يَمْشِى بها ، وإنْ سألنى لأُعْطِيَنَّهُ ، ولئِن استعاذَنى لأُعِيذَنَّهُ» . (رواه البخارى)

ومن هذا الْحديث الْقُدْسىّ يتضحُ لنا أنَّ الْوَلِىَّ هو اللَّهُ (تعالَى) ، فهو الذى يتكفَّلُ بأمور الْعباد كلِّها ، فهو (سُبحانهُ وتعالَى) الْمحبُّ لعباده ، الناصرُ لأَوْليائه ، والْقاهرُ

لأعْدائهمْ . أما الْولىُّ من الْبَشرِ : فهوَ الذى يتولّى اللّه ورسُولَهُ ، ويسيرُ على نهْج الرسول ﷺ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ اللّهُ ولىُّ الّذين آمنُوا يُخْرجُهُمْ من الظُّلُمات إلى النُّورِ والذين كفرُوا أوْلياؤُهُمُ الطّاغوتُ يُخْرجُونهُمْ من النُّورِ إلى الظُّلُمات أولئك أصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالدُونَ ﴾ .

(البقرة : ٢٥٧)

ألا ما أروعَ هذا التّشبيهَ ! وما أرْوعَ هذه الْمعانى ! فحقًّا إن الْمؤمن بربه ، الْمتوكّل عليه يعيشُ فى أنْوار الْهداية ، بينما الْكافرُ الذى خرجَ من الأنوارِ القدْسيّة يترنَّحُ فى ظُلُمات بعْضُها فوْقَ بعْضٍ ، ويعيشُ فى صراعٍ ومُعاناة وضيقٍ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ ومنْ أعْرضَ عنْ ذكْرى فإنَّ لهُ معيشةً ضنْكًا ونحْشُرُهُ يوْمَ الْقيامة أعْمى * قالَ ربِّ لمَ حشرْتنى أعْمى وقدْ كُنْتُ بصيرًا * قالَ كذلكَ أتتْكَ آياتُنا فنسيتها وكذلكَ الْيوْمَ تُنْسى ﴾ . (طه : ١٢٤ - ١٢٦)

إنَ ولايةَ اللّه للمسلم تَعْنى حمايَتَهُ وتدْبير شُئُونه ونصْرَه على أهْواءِ نَفْسه وعلى أعْدائه ، وليسَ من الصَّعْب على أىّ مسلمٍ أنْ يُصْبِحَ وليًّا منْ أوْلياء اللّه ، إذا داومَ على الْعبادة ، وأطاعَ اللّهَ ورسولَهُ ، وتقربَ إلى اللّهِ بالصَّالح من الأعْمال .

قالَ (تعَالى) :

﴿ ألا إنَّ أوْلِيـاء اللّه لاَ خوْفٌ عليْهِم ولاَ هُمْ يحْزنُونَ * الذين آمنُوا وكَانُوا يتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فى الْحَياة الدُّنْيا وَفِى الآخِرَة لاَ تَبْدِيلَ لِكلمَاتِ اللّه ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

(يونس : ٦٢ - ٦٤)

وقدْ روَى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ أن رسولَ اللّه ﷺ سُئِل :

ـ منْ أوْلياءُ اللّه يارسولَ اللّه ؟

فقال :

ـ «الذين يُذْكَرُ اللّهُ برؤْيتهمْ» .

وقالَ عُمَرُ بنُ الْخطاب فى هذه الآية :

ـ سمعْتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول : «إنَّ منْ عبادِ اللّه عباداً ما هم بأنبياءَ ولا شُهداء ، تغْبطُهمُ الأنبـياءُ والشهداءُ يوم

القيامة لمكانهم من الله . قيل : يا رسول الله ، خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم . قال : هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها ، فوالله ، إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ـ ثم قرأ ـ ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

فالمؤمن الذى يتقى الله ، ويحب الخير لإخوانه كما يحبه لنفسه ، ويبذل ما فى وسعه لإرضاء الله (تعالى) هو من عباد الله وأوليائه ، فليس الأولياء الصالحون ـ كما يظن بعض الناس ـ هم الأموات أو الصالح منهم ، لكن الأولياء حقًا هم من تتحقق فيهم الشروط الإيمانية الصادقة كما أشارت الآية الكريمة .

والله (تعالى) يؤيد أولياءه بنصره ، ويؤيدهم بالملائكة والحفظة يحفظونهم من كل شىء ، فلا يصل إليهم سوء ، بشرط أن يستقيم هؤلاء الأولياء على المنهج الصحيح .

قال (تعالى) :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم

الْمَلائكةُ أَلاَّ تخَافُوا ولاَ تحْزَنُوا وَأبْشِرُوا بالْجَنَّة التِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أوْلِيَاؤُكُمْ فى الْحَياة الدُّنْيا وفِي الآخِرَة وَلَكُمْ فيهَا مَا تشْتَهِي أنْفُسُكُمْ وَلكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزلاً من غفُورٍ رحيم ﴾ . (فصلت : ٣٠ـ٣٢)

اللهُمَّ فاطِرَ السموات والأَرضِ عالم الْغيب والشَّهادة رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ ، أشْهَدُ أنْ لا إله إلا أنْتَ ، أعوذُ بكَ منْ شرِّ نفْسِي ، ومِنْ شرِّ الشيطانِ وشرْكه ، اللهم يا وَليَّ الْمؤمنيِنَ ، تولَّنا وارضَ عنَّا ، واجْعلْنا من أوْليائكَ وخاصَتكَ .



بينما كان رسولُ اللَه ﷺ يصلِّي ومعه أصحابُه ، رفعَ رأسَه

منَ الرُكوع وقالَ :

ـ سمعَ اللَّهُ لمنْ حمدَه .

فقالَ رجلٌ منْ ورائه :

ـ ربَّنا ولك الْحمدُ حَمْدًا كثيرًا مُباركًا فيه .

فلمَّا انتهى قال :

ـ «من الْمتكلِّمُ» ؟

فقالَ الرجلُ :

ـ أنا يا رسولَ اللَه .

فقالَ رسولُ اللَه ﷺ :

ـ «رأيْتُ بِضْعَةً وثلاثين مَلَكًا يَبْتَدِرُونها أَيُّهم يكْتُبها أَوَّلاً» .

فسُبْحانَ الْحميد الذى يستحقُّ الْحَمْدَ والثَّناءَ لما أنعَم به على عباده منْ خَيْرات حِسان ، وتَفضَّل عليهمْ بالْعَفْوِ والْغُفْران . فهو سُبْحانَهُ الذى يُحْمَدُ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ وفى الشِّدَّةِ وفى الرَّخاء ، ويُحْمَدُ فى جميع الأحوالِ والْحالات .

وحَمْدُ اللَّه لا يكونُ باللِّسانِ فقطْ ، بلْ يجبُ أَنْ يَنْبُعَ من الْقلب وأن يتَحَوَّلَ إلى أعْمال ظاهرةٍ ومَلْموسَة ، فلا معنى لأَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ ونحنُ لا نُطيعُهُ ، ولا معْنى لأَنْ نحْمَدَ اللَّهَ على الصِّحَّة والْغِنَى ، ونحنُ نَظْلِمُ الآخرينَ ونبخَلُ بأَموالنا ولا نتصدَّقُ على الْفُقراءِ منها .

إنَّ حَمْدَ اللَّه وشُكْرَهُ على نِعَمه يكونُ بالتصدُّق منها ، كما ينْبَغى الالْتزامُ بِمَنْهَجِ اللَّه والرضا بقضائه وقَدَرِه فى كلِّ الأَحْوال .

والذى يتدبَّرُ الْقرآنَ الْكريمَ يجدُ أنَّ هُناكَ خمسَ سُوَرٍ بدأَتْ بالْحَمْد للَّه ، وهى سورةُ الْفاتحة وسورَةُ الأنعامِ وسورةُ الْكهفِ وسُورةُ فاطِر وسُورَةُ سبأ .

وافْتِتَاحُ هذه السُّوَرِ بالْحَمْدِ للَّه دليلٌ على عظَمِ مَنْزِلَةِ الْحَمْدِ ، فأَجْرُ الْحمد وجَزاؤه عند اللَّه كبيرٌ . فعَنْ عُمر ابنِ الْخَطَّاب أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ حدَّثهم : «أَنَّ عَبْدًا منْ عباد اللَّه قالَ : يارَبِّ لكَ الْحَمْدُ كما يَنْبغى لجلالِ وَجْهكَ وعَظيم سُلْطانكَ ، فعضلت بالْمَلَكيْنِ - أى اشْتَدَّ الأمرُ واسْتغلق - فلمْ يَدْرِيَا كيفَ يَكْتُبانها ، فصعدَا إلى السَّماء ، وقالاَ : يا ربَّنا إنَّ عَبْدكَ قد قالَ مقالةً لا نَدْرى كيْفَ نكْتُبُها . قال اللَّهُ (عزَّ وجَلَّ) وهو أَعلم بما قالَ عَبْدُهُ : ماذا قالَ عَبْدى ؟ قالاَ : يا ربِّ ، إنه قدْ قالَ : يارَبِّ لكَ الْحمدُ كما ينْبغى لجلال وجْهكَ وعَظيمِ سُلْطانكَ . فقالَ اللَّهُ لهما : اكتُبَاها كما قالَ عَبْدى حتى يلْقانى فأجْزيَهُ بها» . (رواه ابن ماجة)

ولذلكَ فقدْ كان صحابةُ الرَّسول ﷺ يدركون فضْلَ الْحمدِ ومنزلَةَ صاحبه عندَ اللَّه فكانوا يقولونَ :

- ما منْ نعمة إلا والْحمدُ للَّه أَفْضَلُ منها .

وقدْ يكونُ الْحمدُ بمعْنى الشُّكْرِ . غيْرَ أَنَّ بعضَ الْعُلماء فصَّلَ الْقَوْلَ فى ذلك ، وقال :

إنَّ الشكْرَ أعمُّ من الْحمد ، لأنه باللِّسان والْجوارحِ والْقَلْب ،

أمَّا الْحمدُ فيكونُ باللِّسانِ خاصَّةً .

وقيلَ : الْحمدُ أعمُّ لأنَّ فيه معنى الشُّكْرِ ومعْنى الْمَدْحِ ، وهو أعمُّ من الشكْرِ ، لأنَّ الْحمدَ يوضعُ موْضِعَ الشكْرِ ، أمَّا الشُّكْرُ فلا يوضَعُ موْضِعَ الْحمدِ .

ورُوِى عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنه قالَ :

ـ الْحمدُ للَّه كلمةُ كلِّ شاكرٍ .

وكانَ الرسولُ ﷺ يأْمُرُ صحابَتَهُ بحمدِ اللَّه وشُكْرِه ليْلاً ونَهارًا على ما تفضَّلَ به (سُبْحانهُ وتعالَى) عليهمْ منْ نِعَمٍ . وكان يعلِّمهُمْ أدْعيةً كثيرةً بليغةً يدعونَ بها فى هذه الْمناسَباتِ . فعنْ أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللَّه ﷺ :

«ألا أُعلِّمكَ كلماتٍ تُذْهِبُ عنْكَ الضُّرَّ والسَّقَمَ ؟ قلْ : توكلتُ على الْحىِّ الذى لا يموتُ ، والْحمدُ للَّه الذى لم يتَّخذْ ولَدًا ولَمْ يكنْ له شريكٌ فى الْمُلكِ ولمْ يكُنْ له وَلِىٌّ منَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكْبيرًا» .

وقالَ ﷺ :

«الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ ، والْحمدُ للَّه تملأُ الْميزانَ ، وسُبحانَ

اللّٰه والْحمدُ للّٰه تملآن ـ أو تملأُ ـ ما بينَ السَّماء والأَرْض ، والصَّلاةُ نورٌ والصَّدقةُ بُرْهانٌ ، والصَّبرُ ضِيَاءٌ ، والْقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليْكَ ، كلُّ الناسِ يغْدو ، فبائعٌ نفسَهُ فَمُعْتقُها أوْ مُوبقُها» . (رواه مسلم)

اللهمَّ لكَ الْحمدُ كما ينْبغي لجلالِ وَجْهِكَ وعَظيمِ سُلْطانكَ ، نَحْمَدُكَ حمْدَ الشَّاكرينَ الْعارفينَ بقَدْرِكَ ، ونُثْني عليكَ الثَّناءَ الْجميلَ ونصلِّي ونسلِّمُ على خاتمِ أنبيائكَ يا حَميدُ يا مَجيدُ !

رقم الإيداع : ١٥٦٩٠
الترقيم الدولي : ٩٧٧-٢٦٦-٣٥٩-٧